

شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني والأربعون .

[عن أنس B قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

في هذا الحديث بشارة عظيمة وحلم وكرم عظيم وما لا يحصى من أنواع الفضل والإحسان والرفقة والرحمة والإمتنان ومثل هذا قوله A [أفرح بتوبة عبده من أحدكم بضالته لو وجدها] وعن أبي أيوب B لما حضرته الوفاة قال : كنت قد كتبت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعته يقول [لو لا أنكم تذنوبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم] وقد جاءت أحاديث كثيرة موافقة لهذا الحديث وقوله [يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني] هذا موافق لقوله [أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء] وقد جاء أن العبد إذا أذنب ثم ندم فقال : أي ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي ولا يغفر الذنوب إلا أنت قال : فيقول الله تعالى : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أنني قد غفرت له ثم يفعل ذلك ثانية وثالثة فيقول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل مرة مثل ذلك ثم يقول : [اعمل ما شئت فقد غفرت لك] يعني لما أذنبت واستغفرت .

واعلم أن للتوبة ثلاثة شروط : الإقلاع عن المعصية والندم على ما فات والعزم على أن لا يعود وإن كانت حق آدمي فليبادر بأداء الحق إليه والتحلل منه وإن كانت بينه وبين الله تعالى وفيها كفارة فلا بد من فعل الكفارة وهذا شرط رابع فلو فعل الإنسان مثل هذا في اليوم مراراً وتاب التوبة بشروطها فإن الله يغفر له .

قوله [على ما كان منك] أي من تكرار معصيتك [ولا أبالي] أي ولا أبالي بذنوبك قوله [يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك] أي لو كانت أشخاصاً تملأ ما بين السماء والأرض وهذا نهاية الكثرة ولكن كرمه وحلمه سبحانه وعفوه أكثر وأعظم وليس بينهما مناسبة ولا التفضيل له هنا مدخل فتتلاشى ذنوب العالم عند حلمه وعفوه قوله [يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة] أي أتيتني بما يقارب مثل الأرض قوله [ثم لقيتني] أي مت علي الإيمان لا تشرك بي شيئاً ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه وقد قال الله تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } وقد قال A [ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة] وقال أبو هريرة B : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [حسن الظن بالله من حسن عبادة الله]

